(( **الأم وكفى** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

هل قرأتم عن الدوحة الغناء ، وارفة الضلال ، قوية الجذور ، رقيقة الأنسام ، جميلة الأطياف ، أغصانها متشابكة ، فروعها سامقة ، ثمارها يانعة ، شذاها طيب ، عبيرها فواح ، تملأ الحياة جمالاً ، وكمالا ، وجلالاً ، ووصالاً ؟

هل سمعتم عن قيثارة الدنيا ، وملحمة الأرض ، تعطي الحياة معناً ومبناً ، تأخذ القليل ، وتعطي الكثير ، وترضى باليسير ، تعطي الروح روحاً ، والقلب إشراقاً ، والنفس سروراً ؟

هل وقفتم على جامعة المشاعر ، وكليّة الأدب والتربية، ومدرسة الحنان ، وعنوان التضحية ؟

أتظنون أني أتحدّث عن لغز محيّر ، وموضوع مشكل!؟

إنها الأم ،،

الأم هي الجمال ، والكمال ، والجلال ، والوصال ، والعطاء ، والسخاء ، والوفاء .

الأم مصدر الحنان ، وأساس الحبّ .

الأم روح المساء ، ونور الفجر ، وقبلة الصباح ، وجنة الأرض .

الأم القلب الصافي ، والحضن الدافئ .

الأم عبير يفوح شذاه ، وطيب يعلو في سماه .

الأم عماد الأمر ، وركن البيت، ونور المكان .

نقطة الجذب، ومحور الحياة، هي النقاء ، والصفاء ، والوفاء ، والولاء ، خير أنيس ونعم الجليس .

الأم هي الحب الأسمى ، والقلب العذب ، والرحيق الأطيب .

إنها الأم .. أشد أهل الأرض بأساً ، وأزكاهم نفساً ، وأرقّهم حِسّاً .

الأم هي الغذاء إذا جعت ، والطبيب إذا مرضت ، والحفلة إذا نجحت وتفوقت ، والمنبّه إذا نمت ، والدعوة بظهر الغيب إذا غبت .

الأم هي التعزية في الحزن ، والرجاء في اليأس ، والقوة في الضعف، والغنى في الفقر

الأم هي الحنان والأمان ، هي المحبة والمودة .

الأم كرم وجود ، عطاء بلا حدود .

الأم كنزٌ موجود لأهل البر والجود ، وكنزٌ مفقود لأهل العقوق والجحود .

الأم بطنها وعاء ، صدرها غذاء ، حجرها حواء ، حياتها عطاء ، ومالها فداء ، صلاتها دعاء .

بين يديها كبرنا ، وفي أحضانها تربينا ، وعلى دفئ قلبها اختبينا ، ومن كريم مالها وعطائها ارتوينا ، أعضاؤنا صنعت من لبنها ، ولحمنا نسج من لحمها ، تعطي ولا تطلب أجرا ، وتبذل ولا ترجوا شكراً ،

إنها الأم ،، إنها الأم وكفى ، أغلى إنسان ، وأرحم إنسان ، وأوفى إنسان «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ» رواه مسلم

إنها الأم الكائن الرقيق الضعيف ، الذي ينقلب إلى بركانٍ ثائر، ووحشٍ كاسر إذا مسّ أولادها بسوء.

الأم التي خلقت مرةّ ولن تعود .

الأم التي قرن الله طاعته بطاعتها فقال سبحانه ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الإسراء: ٢٣

الأم التي قال الله عنها ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ لقمان: ١٤

وقال سبحانه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭼ الأحقاف: ١٥

الأم التي أوصى النبي بها فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ» رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (1666)

الأم التي قال رَسُولُ اللَّهِ في شأنها لرجلٍ يقول له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ : «أُمُّكَ حَيَّةٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْزَمْ رِجْلَيْهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ» رواه ابن شيبة وابن ماجه وحسّنه الألباني (1248) .

الله أكبر يا من تبتغون رحمة الله ،،

يا من ترجون النجاة ، يا من تسألون الله الجنة ، دونكم الجنة بلا عناء ، ها هي الجنة بأبوابها ، وطيبها ، وجمالها ، ها هي الجنة بلا حمل سلاح ، ولا موتٍ ولا جراح .

الجنّة في بيوتكم أيها الأبناء ،،

الجنة عند أقدام أمهاتكم أيها الأبناء ،،

الجنة في الجهاد في بركم آبائكم وأمهاتكم ،،

عجباً لمن يطلب الشهادة ، ويجتهد في العبادة ، وقد ترك خلفه أمّاً كسيرة حزينة ، حسيرة أليمة ، تكابد السهر في انتظاره ، وتعانق الحزن والقهر في غيابه ، فتفيض دموعها على فلذة كبدها .

أيها الابن الغالي .. الله الله في بر الأم ،

أيها الابن إن الغرب الفاجر لا يعرفون للأم قدراً إلا فيما يسمّى بعيد الأم ، وهو عيد ضالٌّ مبتدع ، ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، ولكنّ الأمّ في ديننا ، عيدنا عند أقدامها ، وسعادتنا في أحضانها، وبرها في ضعفها وقوتها ، وصحتها وسقمها ، وحياتها وموتها ، بِرُّها من أعظم شعائر ديننا.

الأم التي بغيابها يغيب عنّا الحنان ، ويفقد الأمان ، ويتفرّق الاخوان ، وتقلّ البركة .

أيها الابن الغالي ، أدرك والديك ، بادر إلى أمك فوالله إن فقد الأمّ أليم ، إن فقدها جرحٌ غائر ، وثلمةٌ لا يشعر بها إلى من ذاقها .

أيها الابن إنّ فئاماً من الشباب لا يتنعمون بالنعمة التي أنت الآن في أعطافها ، فكلما لفحتهم الذكريات على فقد الآباء والأمهات ، تقطعت نياط قلوبهم بالنّدم والحسرات ، ولكن هيهات هيهات ، يريدون لحظة يروون فيها نفوسهم من برهما ، ويبلّون ظمأ الإحسان لوالديهما .

أيها الإبن إذا فقدت أمك فقدت سهما من سهام الليل ، وباباً من أبواب الجنة.

أيها الإبن إذا فقدت أمك لن تجد حضناً يحتويك، ولا حباً صادقاً يأويك ، لن تجد من يعيش معك في نصبك ، وهمك ، وحزنك ، وفرحك.

إذا ماتت أمك مات أغلى وأرحم إنسان عرفته في حياتك .

إذا ماتت أمك سكت الصوت الذي كان يترنم بإسمك وذكرك.

أيها الإبن إذا فقدت أمك فقد انهدم السقف ، وتمزق الثوب ، وتعرّى الجسد ، فقد فقدت روح الروح.

فالعالم كله على صدر أمك فإذا وضعت رأسك في حجرها كنت ملكاً متوجا وإذا لزمت رجليها فقد دنوت من جنة الرحمن .

أيها الابن كم من رجل يقف اليوم على غرفة أمه بعد فراقها فينظر في حبيبات دوائها التي كان ينظم أقراصها لها ؟

يعصره الحنين عصراً على تلك اللحظات..

فهذا رجلُ ماتت أمّه فلم يجد شيئاً يبلّ كبده إلا أن يأخذ "شيلة" والدته الراحلة كل ليلة وينام عليها ويستنشق رائحتها..

بالله لو قيل لمثل هذا كم تدفع لتعود والدتك؟

ماذا سيقول ؟

والله يا بني لقد أدركنا حقاً بعد موت الأم لماذا وضع الله مفتاح الجنة تحت أقدامها؟

فالأم في ذاتها جنة وبرها طريقنا إلى الجنة .

أيها الابن آن لك أن تفيق من غفلتك ، وتعود إلى أمٍ طالما أبكيتها ، وأتعبتها ، وأحزنتها .

آن لك أن تقول لأمك دعيني أنظر في وجهك لأرى عقوقي وصبرك .

دعيني أنظر في عينيك لأرى جحودي وعظيم حلمك وكرمك .

أمّاه خذي من صحتي ولا تمرضي ..

خذي من راحتي ولا تتعبي ..

خذي من بسمتي ولا تبكي ..

خذي من فرحتي ولا تحزني ..

خذي من مالي وعطائي لا تترددي ..

خذي من لحمي ودمي ..

أيها الأبناء ،، أدركوا الآباء والأمهات ،،

أيها الابن والله وتالله إننا مدينون لأمهاتنا .

أيها الأبناء ،، تمرغوا في بوابة البرّ ،، بادروا قبل أن تغلق الأبواب ،

أيها الأبناء اتقوا الله في أمهاتكم وآباءكم ، بادروا قبل أن يعض الواحد منكم أصابع الندم ،

أيها الأبناء.. والله وتالله إنّ الآباء والأمهات يتألمون لعقوقكم، وبعدكم، وقسوتكم ، وغياب إحسانكم، وفقد مشاعركم، وغلظة خطابكم ولكنهم يرجون من الله ما لا ترجون.

أيها الأبناء.. والله إنّ السعادة والتوفيق في برّك بأمك وأبيك، وخفض صوتك وجناحك لهما ، وغض بصرك ولين خطابك وإحسانك.

جاء رَجُلٌ لابن عَبَّاسٍ { ، فقال : إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ. فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ .

أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

أيها الابن ، تأمل في كتاب ربّك وهو يطلب منا أن نتذلل له سبحانه، ومع ذلك قال عن الوالدين ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الإسراء: ٢٤

قال سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ : اخضع لوالديك كما يخضع الْعَبْد للسيد الفظ الغليظ .

بالله عليك أتعرف شيئاً في كتاب الله شنّع القرآن عليه أكثر من الشرك؟

انظر كيف يذكر الله حق الوالدين بعد حق الله بالتوحيد، وكيف يذكر العقوق بعد الشرك:

قال الله ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﭼ وقال ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ الإسراء: ٢٣

يا بني ... آن لنا أن نتنافس في برهما ، والإحسان إليهما ، وقضاء حوائجهما ، وإدخال السرور عليهما ؟

روى الإمام ابن سعد في طبقاته بإسناده قال : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ: بَاتَ عُمَرُ يُصَلِّي وَبِتُّ أَغْمِزُ رِجْلَيْ أُمِّي وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لَيْلَتِي بِلَيْلَتِهِ. الطبقات الكبرى (1/191) .

هذا هو الفقه الدقيق في مراتب الأعمال .. فقد بقي الإمام ابن المنكدر عامة ليله يدلك رجلي أمه ، ويخفّف إعيائها ، ويطيب خاطرها ، ويتقرّب إلى الله بذلك ، وأخوه عمر صافٌّ قدميه بين يدي الله يصلي الله ومع ذلك ، يرى محمد بن المنكدر أن برّ الوالدين أجلُّ في ميزان الله من التهجد .

وهذا الحافظ عبدالله بن عون جاء في ترجمته أنّ أمه نادته يوماً فأجابها ، فعلا صوتُهُ صوتها ، فأعتق رقبتين .

الله أكبر .. أعتق عبدالله بن عون رقبتين لشعوره برفع صوته على أمه ،، حسبنا الله ونعم الوكيل .

واغوثاه .. واحسرتاه .. من شاب وفتاة يصرخ أحدهما على أمّه مشمئزاً من طلباتها ، معترضاً على نصحها .

واغوثاه .. من شاب يتفنّن في الكذب ، والخداع ، والتسويف ، والوعود الكاذبة ؛ ليفرّ عن قضاء حوائج أمّه ،

فوصيتي لك يا بني قبل الفوات أن تسابق الريح في تحقيق مطالبهما، وأن تسعى سعياً حثيثاً في برهما والاحسان إليهما ورب الكعبة سترى الخيرات والبركات تصبّ عليك صبّاً ، وسترى من أبواب التوفيق ما لا يخطر لك على بال .

**انتهت الخطبة**